ألف ليلة وليلة



نور الدين وشمس الدين

ألف ليلة وليلة

٤

نور الدين وشمس الدين

راجعها

سعيد جوده السحار عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه

قالت شهرزاد : بلغني أن الوزير جعفرا قال للخليفة هٰرون الرشيد : اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان فى مصر سلطان ، صاحب عدل وإحسان ، له وزير عاقل خبير ، له علم بالأمور والتدبير ؛ وكان شيخا كبيرا ، وله ولدان كأنهما قمران ؛ وكان اسم الكبير شمس الدين ، واسم الصغير نور الدين .

وكان الصغير أميز من الكبير فى الحسن والجمال ، وليس فى زمانه أحسن منه ، حتى أنه شاع ذكره فى البلاد ، فكان بعض أهلها يسافر من بلاده إلى بلده لأجل رؤية جماله . فاتفق أن والدهما مات ، فحزن عليه السلطان ، وأقبل على الولدين وقرّبهما وخلع عليهما ، وقال لهما : « أنتما فى مرتبة أبيكما » . ففرحا وقبلا الأرض بين يديه ، وعملا العزاء لأبيهما شهرا كاملا : ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة ، وإذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما .

فاتفق فى ليلة من الليالى أن السلطان كان عازما على السفر فى الصباح ، وكانت النوبة للكبير ، فبينما الأخوان يتحدثان فى تلك الليلة ، إذ قال الكبير : يا أخى قصدى أن أتزوج أنا وأنت فى ليلة واحدة .

فقال الصغير : افعل يا أخى ما تريد ، فإنى موافقك على ما تقول .

واتفقا على ذلك ، ثم إن الكبير قال لأخيه : إن قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا بهما فى ليلة واحدة ، ووضعتا فى يوم واحد ، وأراد الله وجاءت

زوجتك بغلام ، وجاءت زوجتى ببنت ، نزوج كلا منهما للآخر ، لأنهما أولاد عم .

فقال نور الدين : يا أخى كم تأخذ من ولدى فى مهر بنتك ؟

قال: آخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار ، وثلاثة بساتين ، وثلاث ضياع ؛ فإن عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح .

فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال : ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى ؟ أما تعلم أننا أخوان ، ونحن وزيران فى مقام واحد ؟ وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك هدية من غير مهر . فإنك تعلم أن الذكر أفضل من الأنثى ، وولدى ذكر ونُذْكَر به ، بخلاف ابنتك .

فقال : وما لها بنتى ؟

قال : لا نذكر بها بين الأمراء ؛ ولكن أنت تريد أن تفعل معى على رأى الذى قال : إن أردت أن تطرده فاجعل الثمن غاليا ؛ وقيل : إن بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده فى حاجة ، فغلىَّ عليه الثمن .

فقال له شمس الدين : أراك قد قصرت لأنك تجعل ابنك أفضل من بنتى ، ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق ، حيث تذكر شركة الوزارة ؛ وأنا ما أدخلتك معى فى الوزارة إلا شفقة عليك ، ولأجل أن تساعدنى وتكون لى معينا ؛ ولكن قل ما شئت ، وحيث صدر منك هذا القول ، والله لا أزوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا .

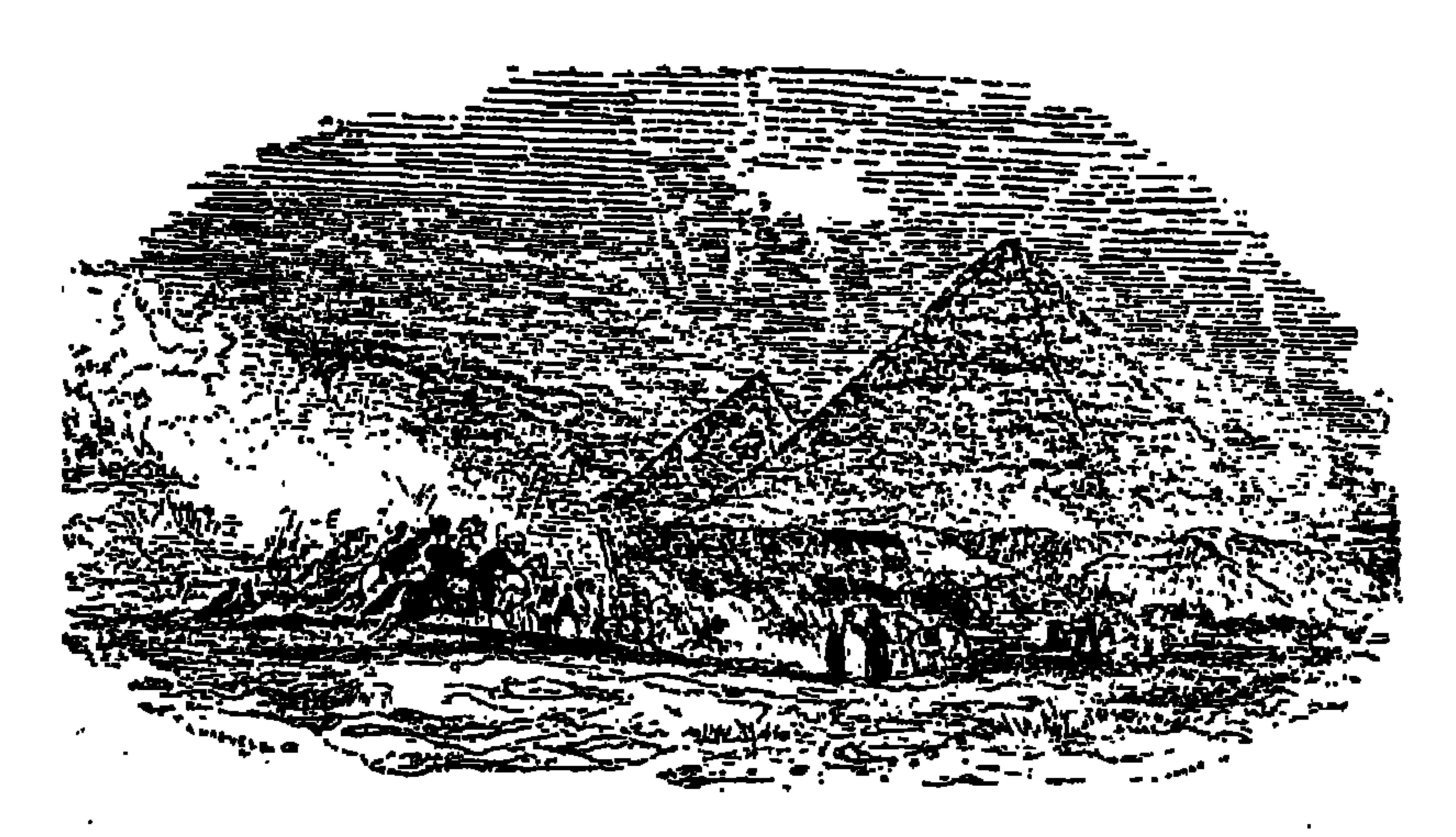
فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال : وأنا لا أزوج ابنى ابنتك .

فقال شمس الدين : أنا لا أرضاه لها بعلا ؛ ولولا أننى أريد السفر لكنت عملت معك العبر ؛ ولكن حينما أرجع من السفر يفعل الله

ما يريد .

فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام ، امتلأ غيظا ، وغاب عن الدينا ، وكتم ما به ، وبات كل واحد فى ناحية .

فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر ، وعدّى إلى الجزيرة ، وقصد الأهرام ، وصحبه الوزير شمس الدين ؛ وأما أخوه نور الدين فبات تلك



الليلة فى أشد ما يكون من الغيظ . فلما أصبح الصباح قام وصلى ، وعمد إلى خزانته وأخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا ، وتذكر قول أخيه واحتقاره إياه وافتخاره ، فأنشد هذه الأبيات :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصَب فإن لذيذ العيش فى النصَب
ما فى المقام لذى لبّ وذى أدب
معزّة ، فاترك الأوطان واغترب

إنى رأيت وقـــوف الماء يفسده
فإن جرى طاب أو لم يجر لم يطب
والبدر لولا أفولٌ منه ما نظـرتْ
إليـه فى كل حين عين مرتـقبِ
والأسد لولا فراق الغابِ ما اقتنصَت
والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقـى فى أمكانـه
والعـود فى أرضه نوع من الحطب
فإن تغـرَّبَ هذا عزَّ مطلبـهُ
وإن أقـام فلا يعلـو إلى الـرُّتب

فلما فرغ من شعره ، أمر بعض غلمانه أن يشدّ له بغلة زرزورية غالية سريعة المشى ، فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية ، وعباءات من القطيفة الأصفهانية ، فسارت كأنها عروس مجلوّة ؛ وأمر أن يجعل عليها بساط حرير سجادة ، وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ؛ ثم قال للغلام والعبيد : قصدى أن أتفرج خارج المدينة ، وأروح نواحى القليوبية وأبيت ثلاث ليال ، فلا يتبعنى منكم أحد ، فإن عندى ضيق صدر .

ثم أسرع وركب البغلة ، وأخذ معه شيئا قليلا من الزاد ، وخرج من مصر واستقبل البر ؛ فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس ، فنزل عن بغلته واسترح وأراح البغلة ، وأكل شيئا ، وأخذ من بلبيس ما يحتاج إليه وما يعلق به لبغلته . ثم استقبل البر ، فما جاء عليه الظهر بعد يومين

حتى دخل مدينة القدس ، فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته ، وأخرج أكله ، ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام ، والغيظ غالب عليه ، ثم إنه بات فى ذلك المكان .

فلما أصبح الصباح ركب ، وصار يسوق البغلة إلى أن وصل حلب ، فنزل فى بعض الخانات ، وأقام ثلاثة أيام ، حتى استراح وأراح البغلة وشم



الهواء ؛ ثم عزم على السفر ، وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى أين يذهب . ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى مدينة البصرة ليلا ، ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان ، وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة ، وأودع البغلة بعدتها عند البواب ، وأمره أن يسيِّرها ، فأخذها وسيرها .

فاتفق أن وزير البصرة كان جالسا فى شباك قصره ، فنظر إلى البغلة وما عليها من العدة الثمينة ، فظنها بغلة وزير من الوزراء ، أو ملك من الملوك ؛ فتأمل فى ذلك وحار عقله ، وقال لبعض غلمانه : ائتنى بهذا البواب .

فذهب الغلام إلى البواب ، وأتى به إلى الوزير ؛ فتقدم البواب وقبل الأرض بين يديه ، وكان الوزير شيخا كبيرا ، فقال للبواب : من صاحب هذه البغلة ؟ وما صفاته ؟

فقال البواب : يا سيدى إن صاحب هذه البغلة شاب صغير ، ظريف الشمائل ، من أولاد التجار ، عليه هيبة ووقار .

فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه ، وركب وسار إلى الخان ، ودخل على الشاب . فلما رأى نور الدين الوزير قادها عليه ، قام على قدميه ولاقاه واحتضنه . ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه ، فرحب به وأجلسه عنده فقال له : يا ولدى من أين أقبلت وماذا تريد؟

فقال نور الدين : يا مولاى ، إنى قدمت من مدينة مصر ، وكان أبى وزيرا فيها ، وقد انتقل إلى رحمة الله .

وأخبره بما جرى من المبتدأ إلى المنتهى . ثم قال : وقد عزمت فى نفسى

على أن لا أعود أبدا ، حتى أنظر جميع المدن والبلدان .

فلما سمع الوزير كلامه قال له : يا ولدى ، لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك ، فإن البلدان خراب ، وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان .

ثم إنه أمر بوضع الخرج عن البغلة ، والبساط والسجادة ، وأخذ نور الدين معه إلى بيته ، وأنزله فى مكان ظريف ، وأكرمه وأحسن إليه ، وأحبه حبا شديدا ، وقال له : يا ولدى أنا بقيت رجلا كبيرا ، ولم يكن لى ولد ذكر ، وقد رزقنى الله بنتا تقاربك فى الحسن ، ومنعت عنها خطابا كثيرين ؛ وقد وقع حبك فى قلبى ، فهل لك أن تأخذ ابنتى جارية لخدمتك ، وتكون لها بعلا ؟ فإن كنت تقبل ذلك أطلع إلى سلطان البصرة ، وأقول له إنك ولد أخى ، وأوصلك إليه ، حتى أجعلك وزيرا مكانى ، وألزم أنا بيتى ، فإنى صرت رجلا كبيرا .

فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ، ثم قال : سمعا وطاعة .

ففرح الوزير بذلك ، وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعاما ، وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة ، المعدة لحضور أكابر الأمراء ، ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة ، فحضروا بين يديه ، وقال لهم : إنه كان لى أخ وزير بالديار المصرية ، ورزقه الله بولدين ، وأنا كما تعلمون رزقنى الله بنتا ، وكان أخى أوصانى أن أزوج بنتى لأحد أولاده ، فأجبته إلى ذلك ؛ فلما استحقت الزواج أرسل إلىّ أحد أولاده ، وهو هذا الشاب الحاضر ، فلما جاءنى أحببت أن أكتب كتابه على بنتى ، ويدخل بها عندى .

فقالوا : نعْمَ ما فعلت .

ثم شربوا السكر ، ورشوا ماء الورد ، وانصرفوا .

وأما الوزير فإنه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ، ويدخلوا به الحمام ، وأعطاه الوزير بذلة من خاص ملبوسه ، وأرسل إليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج إليه ، فلما خرج من الحمام ، لبس البذلة فصار كالبدر ليلة تمامه ، ثم ركب بغلته ، ولم يزل سائرا حتى وصل



إلى قصر الوزير ، فنزل عن البغلة ، ودخل على الوزير فقبل يده ، ورحب به الوزير .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠

(**فلما كانت الليلة المتمة للعشرين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قام له ورحب به ، وقال له : قم ادخل هذه الحجرة على زوجتك ، وفى غد أطلع بك إلى السلطان ، وأرجو لك من الله كل خير .

فقام نور الدين ، ودخل على زوجته بنت الوزير .

هذا ما كان من أمر نور الدين .

وأما ما كان من أمر أخيه ، فإنه غاب مع السلطان مدة فى السفر ، ثم رجع فلم يجد أخاه ، فسأل عنه الخدم ، فقالوا له : من يوم أن سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب ، وقال : « أنا متوجه جهة القليوبية ، فأغيب يوما أو اثنين ، فإن صدرى ضيق ، ولا يتبعنى منكم أحد » . ومن يوم خروجه إلى هذا اليوم لم نسمع له خبرا .

فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه ، واغتم غما شديدا لفقده ، وقال فى نفسه : ما سبب ذلك إلا أنى أغلظت عليه فى الحديث ليلة سفرى مع السلطان ، فلعله تغير ما بخاطره ، وخرج مسافرا ، فلا بد أن أرسل خلفه .

ثم طلع وأعلم السلطان بذلك ، فكتب بطاقات وأرسل بها إلى نوابه فى جميع البلاد ؛ وكان نور الدين قد قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب أخيه مع السلطان ، فذهبت الرسل بالمكاتب ، ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر . ويئس شمس الدين من أخيه ، وقال . لقد غظت أخى بكلامى من جهة زواج الأولاد ، فليت ذلك لم يكن . وما حصل ذلك إلا من قلة عقلى ، وعدم تدبيرى .

ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر ، وكتب كتابه عليها ، ودخل بها . وقد اتفق أن ليلة دخول شمس الدين على زوجته ، كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة ، وذلك بإرادة الله تعالى ، حتى ينفذ حكمه فى خلقه . وكان الأمر كما قالاه ، فاتفق أن الزوجتين حملتا منهما ، وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا

لا يرى فى مصر أحسن منها ، ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى فى زمانه أحسن منه ، كما قال الشاعر :

ومهفهف يُغْنى النديم بريقه
عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعلُ المدام ولونُها ومذاقُها
من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقال الآخر :

إن جاءه الحسنُ كى يقاس به
ينكِّسُ الحسنُ رأسَهُ خجلًا
أو قيل : يا حُسْنُ هل رأيت كذا
يقول : أمَّا نظيرُ ذاك فلا

فسموه حسنا ؛ وفى سابع ولادته صنعوا الولائم ، وعملوا أسمطة تصلح لأولاد الملوك .

ثم إن وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به إلى السلطان ، فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه ، وكان نور الدين فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، صاحب حسن وإحسان ، فأنشد قول الشاعر :

هذا الذى عمّ الأنام بعدلِه
وسطا فمهدَ سائر الآفاقِ
اشكُرْ صنائعه فلسن صنائعا
لكنهن قلائدُ الأعناقِ
والثم أنامله فلسن أناملا
لكنهنّ مفاتحُ الأرزاقِ

فأكرمهما السلطان ، وشكر نور الدين على ما قاله ، وقال لوزيره : من هذا الشاب ؟

فحكى له الوزير قصته من أولها إلى آخرها ، وقال له : هذا ابن أخى .

فقال : وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به ؟

فقال : يا مولانا السلطان ، إنه كان لى أخ وزير بالديار المصرية ، وقد مات وخلف ولدين ، فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا ، وهذا ولده الصغير جاء عندى ، وحلفت أن لا أزوج ابنتي إلا له . فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخا كبيرا ، وقلّ سمعى وعجز تدبيرى ، والقصد من مولانا السلطان أن يجعله فى مرتبتى ، فإنه ابن أخى وزوج ابنتى ، وهو أهل للوزارة لأنه صاحب رأى وتدبير .

فنظر السلطان إليه فأعجبه ، واستحسن رأى الوزير بما أشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزراء ، فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه ، وعين له الرواتب . فقبل نور الدين يد السلطان ، ونزل هو وصهره إلى منزلهما وهما فى غاية الفرح ، وقالا : إنّ قَدَم هذا المولود مبارك .

ثم إن نور الدين توجه ثانى يوم إلى الملك ، وقبل الأرض وأنشد هذين البيتين :

سعـــــادات تجَــــــدَّدُ كلّ يومٍ
وإقبـــالٌ وقـــــد رَغِــــمَ الحسودُ
فمـــــا زالتْ لك الأيـــــامُ بيضا
وأيـــــامُ الــــــذى عاداك سودُ

فأمره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة ، فجلس وتعاطى أمور

خدمته ، ونظر بين الناس فى أمورهم ومحاكماتهم ، كما جرت به عادة الوزراء ؛ وصار السلطان ينظر إليه ويتعجب من أمره ، وذكاء عقله ، وحسن تدبيره ، وتبصره فى أحواله ، فحبّه وقرّبه إليه . ولما انفض الديوان نزل نور الدين إلى بيته ، وحكى لصهره ما وقع ، ففرح .

ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا إلى أن مضت عليه أيام ، ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى أنه لا يفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار ، وزاد له الرواتب والجرايات إلى أن اتسع عليه الحال ، وصارت له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها ، وعمر أملاكا كثيرة ، ودواليب وبساتين ، إلى أن بلغ عمر ولده حسن أربع سنين ، فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين ، فأخرجه خرجة عظيمة وواراه التراب .



ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده ، فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه فى بيته ، وأوصاه بتعليمه وحسن تربيته ، فأقرأه وعلمه فوائد فى العلم ، بعد

أن حفظ القرآن فى بضع سنوات ؛ وما زال حسن يزداد جمالا ، وحسنا واعتدالا ، كما قال الشاعر :

قمـــر تكامـــــل فى المحاسن وانتهى
فالشمس تُشرقُ من شقائــــق خدّه
مَلَكَ الجمـــــالَ بأسرِه فكأنّمـــا
حُسْنُ البريّـــة كلُّهـــا من عنـــدِهِ

وقد رباه الفقيه فى قصر أبيه ، ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة ، إلى أن أخذه والده نور الدين يوما من الأيام ، وألبسه بذلة من أفخر ملبوسه ، وأركبه بغلة من خيار بغاله ، وطلع به إلى السلطان ، ودخل عليه ؛ فنظر الملك إلى حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين ، فانبهر من حسنه ؛ وأما أهل المملكة فإنه لما مر عليهم أول مرة ، وهو طالع مع أبيه إلى الملك ، تحيروا من فرط حسنه وجماله ، ورشاقة قده واعتداله ، وتحققوا فيه معنى قول الشاعر :

رصد المنجـــم ليلـــــه فبـــــدا له
قدُّ المليــــــح يميس فى بردَيْـــــهِ
وتأمّـــــــــل الجوزاء إذ نثرت به
حبَّ الجُمـــان يلـــوح فى عطفـــه
وأمـــــدَّه زُحَــــلٌ سواد ذوائبٍ
والمسك هادى الخال فى خديــــــه
وغــــــدتْ من المرّيخ حمرة خدّه
والقـوس يرمـى النبــل من جفنيـــه

وعُطَارِدٌ أعطاه فرط ذكائه
وأبَى السُّها نظرَ الوشاةِ إليه
فغدا المنجم حائرًا مما رأى
والبدر باس الأرض بين يديه

فلما رآه السلطان أحبه ، وأنعم عليه ، وقال لأبيه : يا وزير لا بد أن تحضره معك فى كل يوم .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم عاد الوزير بولده إلى منزله ، وما زال يطل به إلى حضرة السلطان فى كل يوم إلى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ؛ ثم ضعف والده الوزير نور الدين ، فأحضره وقال له : يا ولدى ، اعلم أن الدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، وأريد أن أوصيك وصايا ، فافهم ما أقول لك ، وأصغ قلبك إليه .



وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير . ثم إن نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده ، فبكى على فرقة الأحباب ، وسحّت دموعه

وقال : يا ولدى اسمع قولى ، فإن لى أخا يسمى شمس الدين ، وهو عمك ؛ ولكنه وزير بمصر ، قد فارقته وخرجت على غير رضاه ، والقصد أنك تأخذ دَرْجًا من الورق وتكتب ما أمليه عليك .

فأحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه ، فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله إلى آخره ، وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير ، وتاريخ وصوله إلى البصرة واجتماعه بوزيرها ، وكتب وصية موثّقة ، ثم قال لولده : احفظ هذه الوصية فإن ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك ، فإن أصابك شيء من الأمور فاقصد مصر واستدل على عمك ، وسلم عليه ، وأعلمه أنى مت غريبا مشتاقا إليه .

فأخذ حسن بدر الدين الرقعة ، وطواها ولف عليها خرقة مشمعة ، وخاطها بين البطانة والظهارة ، وصار يبكى على أبيه ، من أجل فراقه وهو صغير . وما زال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه ، فأقام الحزن فى بيته ، وحزن عليه السلطان وجميع الأمراء ودفنوه ، ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين ، وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان ، وأقام مكانه بعض الحجاب .

وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه ، وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى عماراته وعلى أملاكه ، فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب ، وتوجهوا إلى بيت الوزير نور الدين ليختموا عليه ، ويقبضوا على ولده حسن بدر الدين ، ويطلعوا به إلى السلطان ليعمل فيه ما يقتضى رأيه . وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين فوجده منكس الرأس ، حزين القلب على فراق والده ، فأعلمه بما جرى ؛ فقال له : هل فى الأمر مهلة حتى أدخل فآخذ معى شيئا من الدنانير ، لأستعين به على الغربة ؟

فقال له المملوك : انج بنفسك .

فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيل ثيابه ، وخرج ماشيا إلى أن صار خارج المدينة ، فسمع الناس يقولون : « إن السلطان أرسل الوزير الجديد ، إلى بيت وزيره المتوفى ، ليختم على ماله وأماكنه ، ويقبض على ولده حسن بدر الدين ، ويطلع به إليه فيقتله » . وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله .

فلما سمع كلام الناس خرج إلى غير مقصد ، ولم يعلم أين يذهب ؛ ولم يزل سائرا إلى أن ساقته المقادير إلى تربة والده . فدخل المقبرة ، ومشى بين القبور إلى أن جلس عند قبر أبيه ، وأزال ذيل ثيابه من فوق رأسه . وبينما هو جالس عند تربة أبيه ، قدم عليه يهودى من البصرة وقال : يا سيدى ، ما لى أراك متغيرا ؟

فقال له : إنى كنت نائما فى هذه الساعة ، فرأيت أبى يعاتبنى على عدم زيارتى قبره ، فقمت وأنا مزعوب ، وخفت أن يفوت النهار ولم أزره ، فيصعب علىَّ الأمر .

فقال له اليهودى : يا سيدى إن أباك قد أرسل مراكب تجارة ، وقدم منها بعضها ، ومرادى أن أشترى منك وسقَ كل مركب قدمت بألف دينار .

ثم أخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب ، وعد منه ألف دينار ودفعه إلى حسن ابن الوزير ، ثم قال اليهودى : اكتب لى ورقة واختمها .

فأخذ حسن ابن الوزير ورقة ، وكتب فيها : « كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ، ابن الوزير نور الدين ، قد باع لليهودى فلان جميع أوساق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرة بألف دينار ، وقبض الثمن على سبيل التعجيل » .

فأخذ اليهودى الورقة ، وصار حسن يبكى ، ويتذكر ما كان فيه من العز والإقبال؛ ثم دخل عليه الليل، وأدركه النوم، فنام عند قبر أبيه. ولم يزل نائما حتى طلع القمر ، فتدحرجت رأسه عن القبر ، ونام على ظهره ، وصار وجهه يلمع فى القمر . وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين ، فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم ، فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله ، وقالت : سبحان الله ! ما هذا الشاب إلا كأنه من الحور العين .

ثم طارت إلى الجو تطوف على عادتها ، فرأت عفريتا طائرا ، فسلمت عليه وسلم عليها ، فقالت له : من أين أقبلت ؟

قال : من مصر .

فقالت : هل لك أن تروح معى حتى تنظر إلى حسن هذا الشاب النائم فى المقبرة ؟

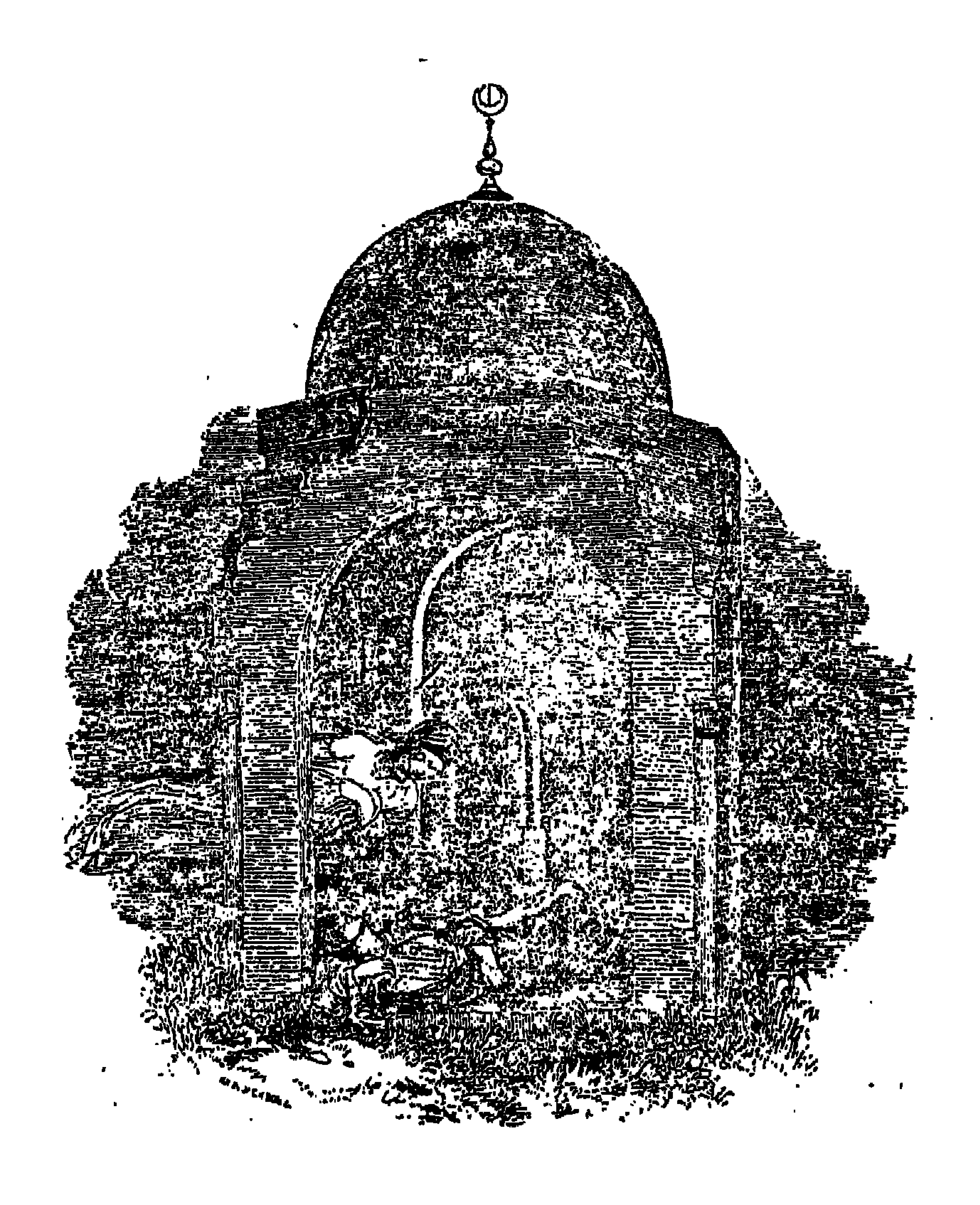
فقال لها : نعم .

فسارا حتى نزلا فى المقبرة ، فقالت له : هل رأيت فى عمرك مثل هذا ؟

فنظر العفريت إليه وقال : سبحان من لا شبيه له ، ولكن يا أختى إن أردت حدثتك بما رأيت .

فقال لها : إنى رأيت مثل هذا الشاب فى إقليم مصر ، وهى بنت الوزير ، وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين ، فقال : « يا مولانا السلطان اقبل عذرى ، وارحم عبرتى ، فإنك تعرف أن أخى نور الدين خرج من عندنا ، ولا نعلم أين هو ، وكان شريكى فى الوزارة ؛ وسبب خروجه أنى جلست أتحدث معه فى شأن الزواج فغضب

منى وخرج مغضبا » — وحكى للملك جميع ما جرى بينهما — ثم قال للملك : « فكان ذلك سببا لغيظه ، وأنا حالف أن لا أزوج بنتى إلا لابن



أخي من يوم ولدتها أمها ، وذلك منذ نحو ثماني عشرة سنة . ومن مدة قريبة سمعت أن أخي تزوج بنت وزير البصرة ، وجاء منها بولد ، وأنا لا أزوج بنتي إلا له كرامة لأخي . ثم إني أرّخت وقت زواجي ، وحمل زوجتي ، ومن يوم ولادة هذه البنت وهي باسم ابن عمها ، والبنات كثير » .

فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا ، وقال له : كيف يخطب مثلي من مثلك بنتا فتمنعها منه ، وتحتج بحجة باردة ؟ وحق رأسي لا أزوجها إلا أقل مني رغم أنفك .

وكان عند الملك سائس أحدب ، بحدبة من قدام ، وحدبة من وراء ، فأمر السلطان بإحضاره ، وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر ، وأمر أن يدخل عليها في هذه الليلة ، ويعمل له الزفاف .

وقد تركته يا أختي وهو بين مماليك السلطان ، وهم حوله في أيديهم الشموع موقدة ، ويضحكون عليه ، ويسخرون منه ، على باب الحمام .

وأما بنت الوزير ، فإنها جالسة تبكي بين المنقشات والمواشط ، وهي أشبه بهذا الشاب ، وقد حجروا على أبيها ومنعوه أن يحضرها . وما رأيت يا أختي أقبح من هذا الأحدب ، وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشاب .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

٢١

(**فلما كانت الليلة الحادية والعشرين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجنى لما حكي للجنية حكاية بنت وزير مصر ، وأن الملك كتب كتابها على السائس الأحدب ، وهى فى غاية الحزن ، وأن لا أحد يشبهها فى الجمال إلا هذا الشاب ، قالت له الجنية : تكذب ، فإن هذا الشاب أحسن أهل زمانه .

فرد عليها العفريت وقال : والله يا أختى إن الصبية أحسن من هذا ، ولكن لا يصلح لها إلا هو ، فإنهما يشبه بعضهما بعضا ، ولعلهما أخوان أو ولدا عمّ ، فيا خسارتها مع هذا الأحدب ! .

فقالت له : يا أخى ، دعنا ندخل تحته ، ونحمله ونروح به إلى الصبية التى تتحدث عنها ، وننظر أيهما أحسن .

فقال العفريت : سمعا وطاعة ، هذا كلام صواب ، وليس هناك أحسن من هذا الرأى الذى اخترته ؛ فأنا أحمله .

ثم إنه حمله وطار به إلى الجو ، وصارت العفريتة فى ركابه تحاذيه . إلى أن نزل به فى مدينة مصر ، وحطه على مصطبة ، ونبهه فاستيقظ من النوم ، فلم يجد نفسه على قبر أبيه فى أرض البصرة . والتفت يمينا وشمالا ، فلم يجد نفسه إلا فى مدينة غير مدينة البصرة ؛ فأراد أن يصيح فغمزه العفريت ، وأوقد له شمعة ، وقال له : أعلم أنى قد جئت بك من البصرة وأنا أريد أن أعمل معك شيئا لله فخذ هذه الشمعة ، وامش بها إلى ذلك

الحمام ، واختلط بالناس ، ولا تزال ماشيا معهم حتى تصل إلى قاعة العروسة ، فاسبق وادخل القاعة ، ولا تخش أحدا ؛ وإذا دخلت فقف على يمين العروس الأحدب ، وإذا ما جاءتك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك فى جيبك تجده ممتلئا ذهبا ، فاكبُش وارم لهن ، ولا تتوهم أنك تدخل يدك ولا تجدها ممتلئة بالذهب فأعط كل من جاءتك بالحفنة ، ولا تخش من شيء ، وتوكل على الذي خلقك ؛ فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته .



فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال : يا ترى أى شيء هذه القضية ؟ وما وجه الإحسان فيها ؟

ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه إلى الحمام ، فوجد الأحدب راكبا الفرس ، فدخل حسن بدر الدين بين الناس ، وهو على تلك الحال من الصورة الحسنة ، وكان عليه « الطربوش » والعمامة « والفرجية » بالذهب ، وما زال ماشيا فى الزينة ، وكلما وقفت المغنيات للناس « ينقطونهن » يضع يده فى جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب ، فيكْبُش ويرمى فى الطار للمغنيات والمواشط ، فيملأُ الطار دنانير ، فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ، ولم يزل على هذه الحال حتى وصلوا إلى بيت الوزير ، ففرق الحجابُ الناس ومنعوهم ، فقالت المغنيات والمواشط : والله لا ندخل إلا إذا دخل هذا الشاب معنا ، لأنه غمرنا بإحسانه ، ولا نجلّى العروسة إلا وهو حاضر .

فعند ذلك دخلن به إلى قاعة الفرح وأجلسنه برغم أنف العروس الأحدب ، واصطفت جميع نساء الأمراء والوزراء والحجاب صفين ، وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة ، وكلهن ملثمات ؛ وصرن صفوفا يمينا وشمالا ، من تحت المنصة إلى صدر الإيوان الذى عند المجلس الذى تخرج منه العروسة . فلما نظرت النساء إلى حسن بدر الدين ، وما هو فيه من الحسن والجمال ، ووجهه يضيء كأنه هلال ، مالت جميع النساء إليه ، فقالت المغنيات للنساء الحاضرات : اَعلمن أن هذا المليح ما نقطنا إلا بالذهب الأحمر ، فلا تقصرن فى خدمته ، وأطعنه فيما يقول .

فازدحمت النساء عليه بالشمع ، ونظرن إلى جماله فانبهرت عقولهن من

حسنه ، وصارت كل واحدة منهن تود أن تستمتع بقربه سنة أو شهرا أو ساعة ، ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب ، وتحيرت منهن الألباب ، وقلن : هنيئا لمن كان هذا الشاب له أو عليه .

ثم دعون على ذلك السائس الأحدب ، ومن كان سببا فى زواجه بهذه المليحة ، وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الأحدب . ثم إن المغنيات ضربن بالدفوف ، وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها . وألبسنها وزيّنّ شعرها ونحرها بالحلى والحلل من لباس الملوك والأكاسرة ؛ ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الأحمر ، وفيه صور الوحوش والطيور ، وهو مسبل عليها من فوق ثيابها ؛ وفى عنقها عقد يساوى الألوف ، وقد حوى كل فص من الجوهر ، ما حاز مثله تُبّع ولا قيصر ، وصارت العروسة كأنها البدر إذا أقمر ، فى ليلة أربعة عشر ؛ ولما أقبلت كانت كأنها حورية ، فسبحان من خلقها بهية ؛ وأحدقت بها النساء فصرن كالنجوم ، وهى بينهن كالقمر إذا انجلت عنه الغيوم .

وكان حسن بدر الدين البصرى جالسا ، والناس ينظرون إليه ، فخطرت العروسة وأقبلت وتمايلت ، فقام إليها السائس الأحدب ليقبلها فأعرضت عنه ، وانقلبتْ حتى صارت قدام حسن ابن عمها ، فضحك الناس لما رأوها مالت إلى ناحية حسن بدر الدين ، وحط حسن يده فى جيبه ، وكَبَشَ الذهب ورمى فى طار المغنيات ، ففرحن وقلن : كنا نشتهى أن تكون هذه العروسة لك .

فتبسم حسن . هذا كله والسائس الأحدب وحده كأنه قرد ، وكلما أوقدت له الشمعة انطفأت ، فبهت وصار قاعدا فى الظلام يمقتُ نفسه ، وهؤلاء الناس محدقون به ، وتلك الشموع الموقدة من أعجب العجائب ،

يتحير من شعاعها أولو الألباب .

وأما العروسة فإنها رفعت كفيها إلى السماء وقالت : اللهم اجعل هذا بعلى ، وأرحنى من هذا السائس الأحدب .

وصارت المواشي تجلِّي العروسة ، إلى آخر السبع الخلع ، أمام حسن بدر الدين البصرى ، والسائس الأحدب وحده ، فلما فرغن من ذلك أَذِنَ للناس بالانصراف ، فخرج جميع من كان فى الفرح من النساء والأولاد ، ولم يبق إلا حسن بدر الدين والسائس الأحدب ؛ ثم إن المواشط أدخلن العروسة ، ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ، ويهيئنها للعروس ؛ فعند ذلك تقدم السائس الأحدب إلى حسن بدر الدين ، وقال : يا سيدى آنستنا فى هذه الليلة ، وغمرتنا بإحسانك ، فلم لا تقوم وتروح بيتك بلا مطرود ؟

فقال : بسم الله .

ثم قام وخرج من الباب ، فلقيه العفريت فقال له : قف يا بدر الدين ، فإذا خرج الأحدب إلى بيت الراحة فادخل أنت ، واجلس فى المخدع ، فإذا أقبلت العروسة فقل لها : « أنا زوجك ، والملك ما عمل تلك الحيلة إلا لأنه يخاف عليك من العين . وهذا الذى رأيته سائس من سيَّاسنا » . ثم أقبل عليها ، واكشف وجهها ، ولا تخش بأسا من أحد .

وبينما كان بدر الدين يتحدث مع العفريت ، إذا بالسائس دخل بيت الراحة ، وقعد على الكرسى ، فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فأر ، وقال له : زيق .. زيق .

فقال الأحدب : ما الذى جاء بك هنا ؟

فكَبُرَ الفأر وصار كالقط ، ثم كبُر حتى صار كلبا ، وقال : « عوه .. عوه » .

فلما نظر السائس ذلك فزع وقال : اخسأ يا مشئوم .

فكبُر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ، ونهق وصرخ فى وجهه : « هاق .. هاق » .



فانزعج السائس وقال : الحقونى يا أهل البيت .

وإذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة ، وسد عليه المكان ، وتكلم بكلام ابن آدم وقال : ويلك يا أحدب ، يا أنتن السياس .

فلحق السائس البطن ، وقعد على الملاق بأثوابه ، واشتبكت أسنانه بعضها ببعض .

فقال له العفريت : هل ضاقت عليك الأرض فلا تتزوج إلا بمعشوقتى ؟

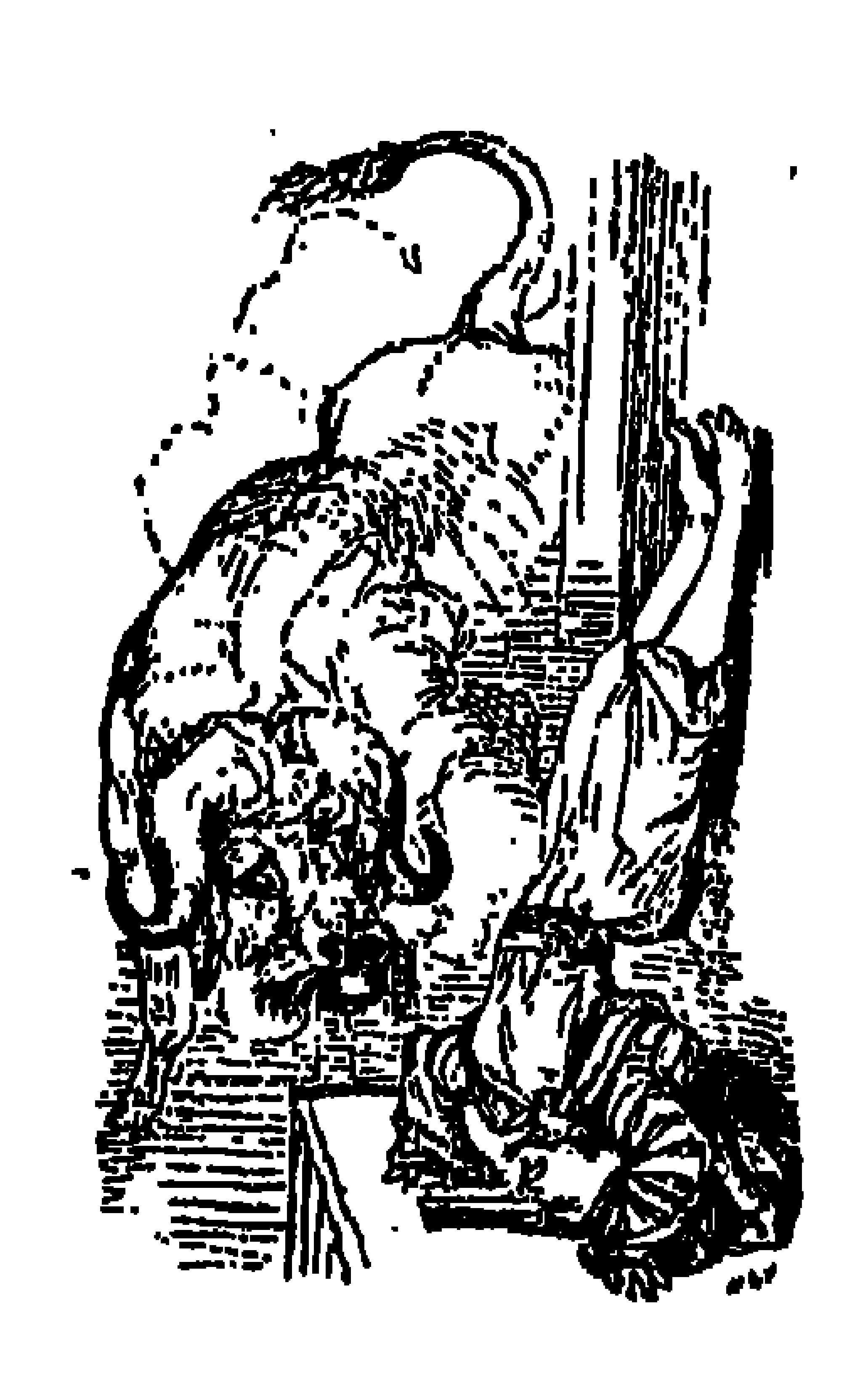
فسكت السائس ، فقال له : رد الجواب وإلا أسكنتك التراب .

فقال له : والله : مالى ذنب إلا أنهم غصبونى ، وما عرفت أن لها عشاقا من

الجواميس ، ولكن أنا تائب إلى الله ثم إليك .

فقال له العفريت : أقسم بالله ، إن خرجت هذا الوقت من هذا الموضع ، أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لأقتلنك . فإذا طلعت الشمس فاخرج إلى حال سبيلك ، ولا تعد إلى هذا البيت أبدا .

ثم إن العفريت قبض على السائس الأحدب ، وقلب رأسه فى الملاقى وجعلها إلى أسفل ، وجعل رجليه إلى فوق ، وقال له : استمر هنا ، وأنا أحرسك إلى طلوع الشمس .



هذا ما كان من قصة الأحدب .

وأما ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى ، فإنه خلىَّ الأحدب والعفريت يتخاصمان ، ودخل البيت ، وجلس فى داخل المخدع . وإذا بالعروسة قد أقبلت ، ومعها عجوز ، فوقفت العجوز على باب المخدع

وقالتِ : يا أبا شهاب ، قم وخذ عروستك ، وقد استودعتك الله .

ثم ولت العجوز ، ودخلت العروسة فى صدر المخدع ، وكان اسمها ست الحسن ، وقلبها مكسور ، وقالت فى قلبها : والله لا أمكنه من نفسى ولو طلعت روحى .

فلما دخلت إلى صدر المخدع ، رأت بدر الدين ، فقالت : يا حبيبى إلى هذا الوقت أنت قاعد ؟ لقد قلت فى نفسى : لعلك أنت والسائس الأحدب مشتركان فىّ ..

فقال حسن بدر الدين : وأى شىء أوصل السائس إليك ؟ ومن أين له أن يكون شريكى فيك ؟

فقالت : ومن زوجى ؟ أنت أم هو ؟

قال حسن بدر الدين : يا سيدتى نحن ما عملنا هذا إلا سخرية به لنضحك عليه ، فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنكِ البديع ، خافوا علينا من العين ، فاكتراه أبوك بعشرة دنانير ، حتى يصرف عنا العين ، وقد راح .

فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام ، فرحت

وتبسمت ، وضحكت ضحكا لطيفا ، وقالت :

والله لقد أطفأت نارى ، فبالله خذنى عندك ، وضمنى إلى صدرك .

فلما رأى بدر الدين حسنها وصفاء بشرتها ، حل كيس الذهب الذى كان قد أخذه من اليهودى ، ووضع فيه الألف الدينار ، ولفّه فى منديله وحطّه تحت ذيل الطرحة ، وخلع عمامته ووضعها على الكرسى ، وبقى بالقميص الرفيع ، وكان القميص مطرزا بالذهب ، فعند ذلك جذبها بدر الدين وعانقها ، وتملى بشبابها وحسنها وجمالها ؛ ثم ناما وقد وسدها بساعده ووسدته بمعصمها ، وشرحا بذلك مضمون هذه الأبيات :

زُر من تحب ودع كلام الحاسد
ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا
من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا
متوسّدين بمعصم وبساعد
وإذا تألفت القلوب على الهوى
فالناس تضرب فى حديد بارد
وإذا صفا لك من زمانك واحد
فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه .

وأما ما كان من أمر العفريت فإنه قال للعفريتة : قومى وادخلى تحت الشاب ، ودعينا نعيده إلى مكانه ، لئلا يدركنا الصبح ، فإن الوقت قريب .

فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحته وهو نائم ، وأخذته وطارت به ،

وهو على حاله بالقميص . وما زالت العفريتة طائرة به ، والعفريت يحاذيها ، فأذن الله للملائكة أن ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق ، وسلمت العفريتة ، فأنزلت بدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ، ولم تتجاوزه به خوفا عليه . وكان ذلك الموضع بالأمر المقدر فى دمشق الشام ، فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت .

فلما طلع النهار ، وفتحت أبواب المدينة ، خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ، وهو مما قاسى من السهر مستغرق فى النوم ، فلما رآه الناس قالوا : « يا بخت من كان هذا عندها فى هذه الليلة ، ويا ليته صبر حتى لبس ثيابه » وقال آخرون : « مساكين أولاد الناس ، لعله يكون فى هذه الساعة قد خرج من المسكرة لبعض شغلة ، فقوى عليه السكر ، فتاه عن المكان الذى يقصده ، حتى وصل إلى باب المدينة فوجده مغلقا فنام هنا » .

وقد خاض الناس فيه بالكلام ، وإذا بالهواء هب على بدر الدين فرفع ذيل ثيابه ، فانتبه حسن بدر الدين ، فوجد نفسه على باب مدينة ، وحوله ناس ، فتعجب ، وقال : أين أنا يا جماعة الخير ؟ وما سبب اجتماعكم علىّ ، وما حكايتى معكم ؟

فقالوا : نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ، ولا نعلم من أمرك غير هذا ، فأين كنت نائما فى هذه الليلة ؟

فقال حسن بدر الدين : والله يا جماعة إنى كنت نائما هذه الليلة فى مصر .

فقال واحد : هل أنت تأكل حشيشا ؟

وقال بعضهم : أأنت مجنون ؟ كيف تكون بائتا فى مصر ، وتصبح نائما

فى مدينة دمشق ؟

فقال لهم : والله يا جماعة الخير لم أكذب عليكم أبدا ، وأنا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر ، وقبل البارحة كنت بالبصرة .

فقال واحد : هذا شىء عجيب .

وقال الآخر : هذا شاب مجنون.



وصفقوا عليه بالكفوف ، وتحدثوا بعضهم مع بعض وقالوا : يا خسارة شبابه ، والله ما فى جنونه خلاف .

ثم إنهم قالوا له : ارجع لعقلك .

فقال حسن بدر الدين : كنت البارحة عروسا فى ديار مصر .

فقالوا : لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام .

فتحير حسن فى نفسه وقال لهم : والله ما هذا منام ، وأين السائس الأحدب الذى كان قاعدا عندنا ، والكيس الذهب الذى كان معى ؟ وأين ثيابى وعمامتى ؟

ثم قام ودخل المدينة ، ومشى فى شوارعها وأسواقها ، فازدحم الناس عليه وزفوه ؛ فدخل دكان طباخ ، وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا ، فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ ، وكان أهل دمشق كلهم يخافونه بسبب شدة بأسه ، فلما نظر الناس إلى الشاب وقد دخل دكان الطباخ ، افترقوا وخافوه .

فلما نظر الطباخ إلى حسن بدر الدين ، وشاهد حسنه وجماله ، وقعت فى قلبه محبته ، فقال له : من أين أنت يا فتى ؟ فاحك لى حكايتك ، فإنك صرت عندى أعز من روحى .

فحكى له ما جرى من المبتدأ إلى المنتهى ؛ فقال له الطباخ : يا سيدى بدر الدين ، اعلم أن هذا أمر عجيب وحديث غريب ، ولكن يا ولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك ، واقعد عندى فى هذا المكان ، وأنا ما لى ولد فأتخذك ولدى .

فقال له بدر الدين : الأمر كما تريد يا عم .

فعند ذلك نزل الطباخ إلى السوق ، واشترى لبدر الدين أقمشة فاخرة

وألبسه إياها ، وتوجه به إلى القاضي ، وأشهد على نفسه أنه ولده ، واشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق أنه ولد الطباخ ، وقعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم ، واستقر أمره عند الطباخ على هذه الحال .

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين .

وأما ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه ، فإنه لما طلع الفجر ، وانتبهت من النوم ، لم تجد حسن بدر الدين قاعدا عندها . فاعتقدت أنه دخل المرحاض ؛ فجلست تنتظره ساعة ، وإذا بأبيها قد دخل عليها ، وهو مهموم مما جرى من السلطان ، وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لأحد غلمانه الذى هو السائس الأحدب ، وقال فى نفسه : « سوف أقتل هذه البنت إن كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها » . فمشى إلى أن وصل إلى المخدع ، ووقف على بابه ، وقال : يا ست الحسن .

فقالت له : نعم يا سيدى .

ثم إنها خرجت وهى تتمايل من الفرح ، وقبلت الأرض بين يديه ، وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك الغزال ، فلما نظرها أبوها وهى بتلك الحال قال لها : يا خبيثة ! هل أنت فرحانة بهذا السائس ؟

فلما سمعت كلام والدها تبسمت وقالت : بالله يكفى ما جرى منك والناس يضحكون على ، ويُعيِّرونني بهذا السائس ، الذى ما يجىء فى أصبعى قلامة ظفر ، إن زوجى ما بِت طوَل عمرى ليلة أحسن من ليلة البارحة التى بتها معه ، فلا تهزأ بى وتذكر لى ذلك الأحدب .

فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب ، وازرقت عيناه ، وقال لها : ويلك ! أى شىء هذا الكلام الذى تقولينه ؟ أليس السائس الأحدب قد بات عندك ؟

فقالت : بالله عليك لا تذكره لى قبحه الله وقبح أباه ، فلا تكثر المزاح بذكره ، فما كان السائس إلا مكترى بعشرة دنانير ، وأخذ أجرته وراح . وجئت أنا ودخلت المخدع ، فنظرت زوجى قاعدا بعد ما جلتنى عليه المغنيات ، ونقط بالذهب الأحمر حتى أغنى الفقراء الحاضرين ، وقد بت فى حضن زوجى الخفيف الروح ، صاحب العيون السود ، والحواجب المقرونة .

فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما ، وقال لها : يا فاجرة ، ما هذا الذى تقولينه ؟ أين عقلك ؟

فقالت له : يا أبت لقد فتتَّ كبدى ، لأى شىء تتغافل ؟ فهذا زوجى الذى بَنَى بى دخل بيت الراحة .

فقام والدها ودخل بيت الخلاء ، فوجد السائس الأحدب ، ورأسه مغروز فى الملاق ، ورجلاه مرتفعتان إلى فوق ، فبهت الوزير وقال : أما هذا هو الأحدب ؟

وخاطبه فلم يرد عليه ، وظن الأحدب أنه العفريت .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والعشرون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السائس الأحدب لما كلمه الوزير ، ظن أنه العفريت فلم يرد عليه ، فصاح فيه الوزير وقال له : تكلم وإلا قطعت رأسك بهذا السيف .

فعند ذلك قال الأحدب : والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتنى فى هذا الموضع ما رفعت رأسى ، فأقسمت بالله عليك أن ترفق بى .

فلما سمع الوزير كلام الأحدب ، قال له : ماذا تقول؟ فإنى أبو العروسة ، وما أنا عفريت .

فقال له : ليس عمرى فى يدك ، ولا تقدر أن تأخذ روحى ، فتروح إلى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذى فعل بى هذه الفعال : فأنتم لم تزوجونى إلا بمعشوقة الجواميس ، ومعشوقة العفاريت ؛ فلعن الله من زوجنى بها ، ولعن من كان السبب فى ذلك .

فقال له الوزير : قم واخرج من هذا المكان .

فقال له : هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير إذن العفريت ؟ فإنه قال لى : إذا طلعت الشمس فاخرج ورُح إلى حال سبيلك ، فهل طلعت الشمس أو لا؟ فإنى لا أقدر أن أطلع من موضعى إلا إذا طلعت الشمس .

فعند ذلك قال الوزير : من أتى بك إلى هذا المكان ؟

فقال : إنى جئت البارحة إلى هنا لأقضى حاجتى ، وأزيل ضرورتى ، وإذا بفأر طلع من وسط الماء وصاح ، وصار يكبر حتى بقى قدر الجاموسة ، وقال لى كلاما دخل فى أذنى فخلّنى ورُحْ ، لعن الله العروسة ومن زوجنى بها .

فتقدم إليه الوزير وأخرجه من المرحاض، فخرج وما صدق أن الشمس طلعت، وطلع إلى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت.

وأما الوزير أبو العروسة فإنه دخل البيت وهو حائر العقل فى أمر بنته، فقال: يا بنتى اكشفى لى عن خبرك.

فقالت: إن الظريف الذى كنت أجلىّ عليه، بات عندى البارحة وأزال بكارتى، وإن كنت لم تصدقنى فهذه عمامته بلفّتها على الكرسى، ومنديله تحت الفراش، وفيه شىء ملفوف لا أعرف ما هو.

فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع، فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه؛ ففى الحال أخذها فى يده وقلبها، وقال: هذه عمامة وزراء، إلا أنها موصلية.

ثم نظر إلى الحرز المخيط فى طربوشه، فأخذه وفتته، وأخذ المنديل فوجد الكيس الذى فيه الألف الدينار، ففتحه فوجد فيه ورقة، فقرأها فوجد مبايعة اليهودى، واسم حسن بدر الدين بن نور الدين المصرى، ووجد



الألف الدينار ، فلما قرأ شمس الدين الورقة ، صرخ صرخة وخر مغشيا عليه ؛ فلما أفاق وعلم مضمون القصة ، تعجب وقال : لا إلٰه إلا الله القادر على كل شيء .

وقال : يا بنتى هل تعرفين من الذى دخل بك ؟

قالت : لا .

قال : إنه ابن أخى ، وهو ابن عمك . وهذه الألف الدينار مهرك ، فسبحان الله ، فليت شعرى كيف اتفقت هذه القضية ؟

ثم فتح الحرز المخيط ، فوجد فيه ورقة مكتوبة بخط أخيه نور الدين المصرى ، أبى حسن بدر الدين ، فلما نظر خط أخيه أنشد هذين البيتين :

أرى آثارهـــــم فأذوب شوقـــــا
وأسكب فى مواطنهم دموعـــــــى
وأسأل مَنْ بفـــــرقتهم رمـــــانى
يَمُـــنُّ علـــىّ يومـــا بالرجـــــوع

فلما فرغ من الشعر ، قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه ببنت وزير البصرة ، وتاريخ دخوله بها ، وتاريخ عمره إلى حين وفاته ، وتاريخ ولادة حسن بدر الدين ؛ فتعجب واهتز من الطرب . وقابل ما جرى لأخيه على ما جرى له ، فوجده سواء بسواء ، وزواج الآخر متوافقين تاريخا ، ودخولهما بزوجتيهما متوافقا ، وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقتين ؛ فأخذ الورقتين وطلع بهما إلى السلطان ، وأعلمه بما جرى من أول الأمر إلى آخره ؛ فتعجب الملك ، وأمر أن يؤرخ هذا الأمر فى الحال ؛ ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه ، فما وقع له على خبر ، فقال : والله لأعملن عملا ما سبقنى إليه أحد .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣

(**فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير أخذ دواة وقلما ، وكتب أمتعة البيت ، وأن الخشخانة فى موضع كذا ، والستارة الفلانية فى موضع كذا ، وكتب جميع ما فى البيت ، ثم طوى الكتاب ، وأمر بخزن جميع الأمتعة ، وأخذ العمامة والطربوش ، وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظهما عنده .

وأما بنت الوزير فإنها لما كملت أشهرها ، ولدت ولدا مثل القمر ، يشبه والده فى الحسن والكمال ، والبهاء والجمال ، فقطعوا سرته ، وكحلوا مقلته ، وسلموه للمرضعات ، وسموه عجيبا ، فصار يومه بشهر ، وشهره بسنة . فلما مرت عليه سبع سنين أعطاه لفقيه ، ووصاه أن يربيه ويحسن تربيته ، فأقام فى المكتب أربع سنوات ، فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ، ويقول لهم : « من فيكم مثلى ، أنا ابن وزير مصر » . فقام الأولاد واجتمعوا يشكون إلى العريف مما قاسوه من عجيب ، فقال لهم العريف ، أنا أعلمكم شيئا تقولونه له حينما يجيء ، فيتوب عن المجيء إلى المكتب . وذلك إنه إذا جاء غدا ، فاقعدوا حوله ، وقولوا بعضكم لبعض : « والله ما يلعب معنا هذه اللعبة إلا من يقول لنا اسم أمه واسم أبيه ، ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام ، فلا يلعب معنا؟ » .

فلما أصبح الصباح أتوا المكتب ، وحضر عجيب ، فأحاط به الأولاد وقالوا : نحن نلعب لعبة ، ولكن ما يلعب معنا إلا من يقول لنا اسم أمه واسم أبيه .

واتفقوا على ذلك .

فقال واحد منهم : اسمى ماجدى ، وأمى علوى ، وأبى عز الدين .

وقال الآخر اسمه واسم أمه واسم أبيه ، والآخر قال كذلك ، إلى أن جاء الدور إلى عجيب ، فقال :

أنا اسمى عجيب ، وأمى ست الحسن ، وأبى شمس الدين الوزير بمصر .

فقالوا له : والله إن الوزير ما هو أبوك ؟

فقال عجيب : بل الوزير أبى حقيقة ؟

فعند ذلك ضحك منه الأولاد وصفقوا عليه ، وقالوا : أنت ما تعرف لك أبا ، فقم من عندنا ، فلا يلعب معنا إلا من يعرف اسم أبيه .

وفى الحال تفرق الأولاد من حوله ، وتضاحكوا عليه ، فضاق صدره واختنق بالبكاء ، فقال له العريف : هل تعتقد أن أباك جَدك الوزير أبو أمك ست الحسن؟ إن أباك لا تعرفه أنت ولا نحن ، لأن السلطان زوجها



للسائس الأحدب ، وجاء الجن فناموا عندها ، فإن لم تعرف لك أبا يجعلونك ولد زنا . ألا ترى أن ابن البائع يعرف أباه ؟ فوزير مصر إنما هو جدك ، وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت ، فارجع لعقلك .

فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ، ودخل على والدته ست الحسن ، وصار يشكو لها وهو يبكى ، ومنعه البكاء من الكلام . فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه ، التهب قلبها عليه ، وقالت له : يا ولدى ما الذى أبكاك ؟ فاحك لى قصتك .

فحكى لها ما سمعه من الأولاد ومن العريف ، وقال : يا والدتى من هو أبى ؟

قالت له : أبوك وزير مصر .

فقال لها : لا ، ليس هو أبى فلا تكذبى علىّ ، فإن الوزير أبوك أنت لا أبى أنا ؛ فمن هو أبى ؟ فإن لم تخبرينى بالصحيح قتلت نفسى بهذا الخنجر .

فلما سمعت والدته ذكر أبيه ، بكت لذكر ولد عمها ، وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصرى وما جرى لها معه . وأنشدت هذه الأبيات :

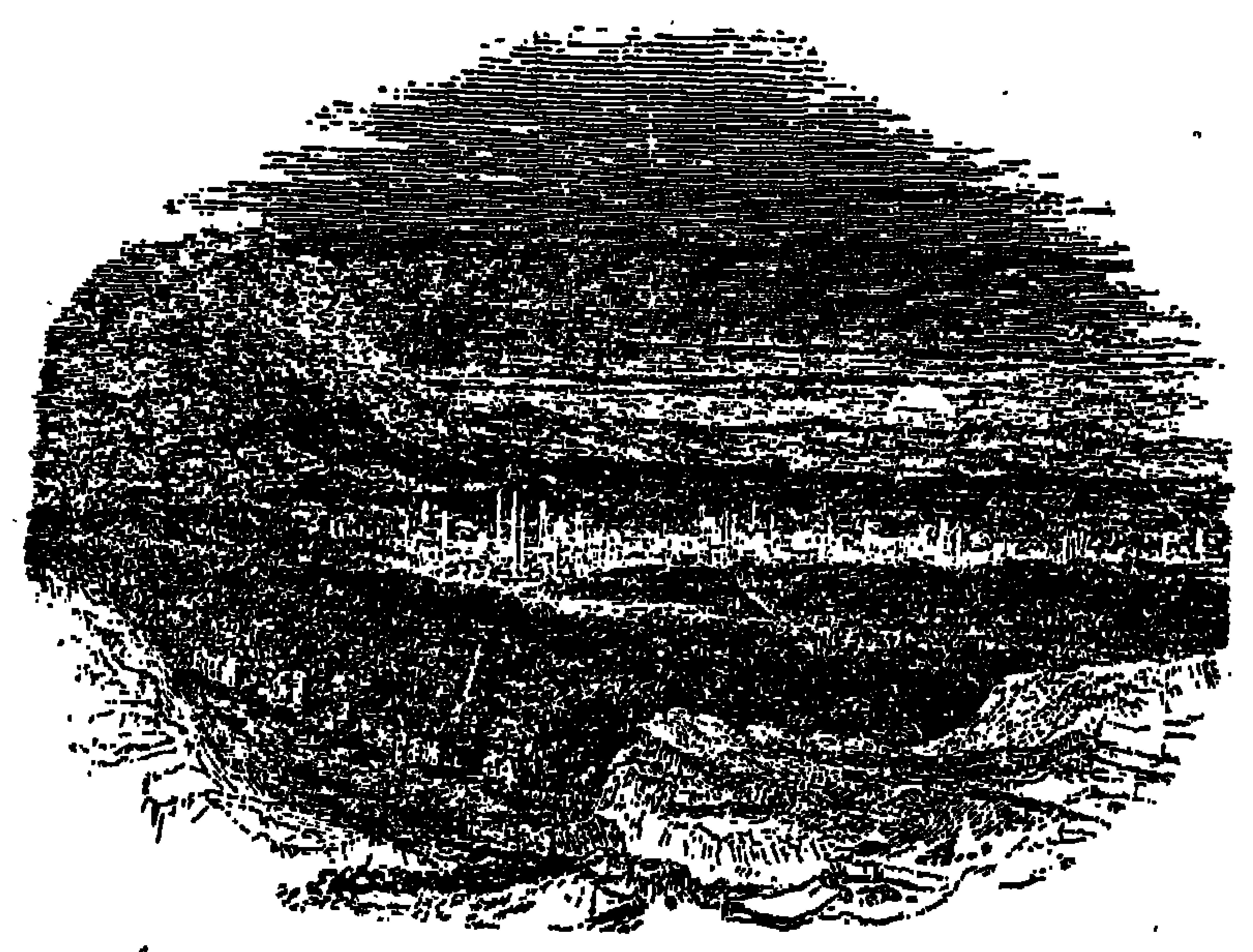
أهاجوا الحبّ فى قلبى وساروا
وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل منى حيث بانوا
وفارقنى هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقنى سرورى
وقد عدم القرار فلا قرار

وأجروا بالفـراق دمـوع عينـي
فأدمعهـا تجاريها البحـار
إذا ما اشتـقت يومـا أن أراهـم
وزاد لهم حنين وانتظـار
يمثّـل شخصهـم فى وسط قلبـي
غرام واشتيـاق وادّكار
أيا من ذِكْرهُـم أضحـي دِثـاري
ومـا لى غير حبهمْ شِعَـار
أحبتنـا إلى كم ذا التمادى
وكم هذا التباعـد والنفـّار

ثم بكت وصرخت ، وكذلك ولدها ، وإذا بالوزير يدخل ، فلما نظر إلى بكائهما احترق قلبه ، وقال : ما يبكيكما ؟

فأخبرته بما اتفق لولـدها مع صغار المكتب ، فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه ، وما اتفق لابنته ، ولم يعلم بما فى باطن الأمر . ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع إلى الديوان ، ودخل على الملك وأخبره بالقصة ، وطلب منه الإذن بالسفر إلى الشرق ، ليقصد مدينة البصرة ، ويسأل عن ابن أخيه ، وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد ، إذا وجد ابن أخيه فى أى موضع يأخذه ؛ ثم بكى بين يدى السلطان ، فرق له قلبه ، وكتب مراسيم لسائر الأقاليم والبلاد ، ففرح بذلك ، ودعا للسلطان وودعه ، ونزل فى الحال ، وتجهز للسفر ، وأخذ ما يحتاج إليه ، وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم ، وثانى يوم ، وثالث يوم ، حتى وصل إلى مدينة دمشق ، فوجدها ذات أشجار وأنهار ، كما قال الشاعر :

من بعدِ يومي في دمشق وليلتي
حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل في غفلاته
ومن الصباح عليه فرع أشمط
والطَّل في تلك الغصون كأنه
درٌّ يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة
والريح تكتب والغمام ينقِّط.



فنزل الوزير من ميدان الحصباء، ونصب خيامه، وقال لغلمانه: نأخذ الراحة هنا يومين.

فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم ، هذا يبيع ، وهذا يشترى ، وهذا يدخل الحمام ، وهذا يدخل جامع بنى أمية الذى ما فى الدنيا مثله . ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان ، والخادم يمشى خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يَثُرْ . فسار عجيب فى حسن قدّه واعتداله ، وبهائه وكماله ، بديع الجمال ، ألطف من نسيم الشمال ، وأحلى للظمآن من الماء الزلال ، وألذ من العافية لصاحب الاعتلال . فلما رآه أهل دمشق تبعوه ، وصار الخلق يجرون وراءه ويتبعونه ، ويقعدون حتى يقبل عليهم وينظروه ، إلى أن وقف عجيب بالأمر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين ، الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود أنه ولده . فلما وقف عليه عجيب فى ذلك اليوم ، وقف معه الخادم ، فنظر حسن بدر الدين إلى ولده ، فأعجبه ، واشتدت به المحبة الإلـٰهية ، فنادى من الوجد وقال : يا سيدى ، يا من ملك قلبى وفؤادى ، وحن إليه كبدى ، هل لك أن تدخل عندى ، وتجبر قلبى ، وتأكل طعامى ؟

ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره ، وتذكر ما كان فيه فيما مضى ، وما هو فيه فى تلك الساعة .

فلما سمع عجيب كلام أبيه حنَّ إليه قلبه ، والتفت إلى الخادم وقال له : إن هذا الطباخ حنّ قلبىَ إليه ، وكأنه قد فارق ولداله ، فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ، ونأكل ضيافته ، لعل الله يجمع شملنا بأبينا بجبرنا خاطره .

فلما سمع الخادم كلام سيده عجيب ، قال : والله يا سيدى لا ينبغى . كيف تكون ولد الوزير ، وتأكل فى دكان الطباخ ؟ ولكن أنا أحجب الناس عنك بهذه العصا ، خوفا أن ينظروا إليك ، وإلا فما يمكنك أن تدخل الدكان أبدا .

فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب، والتفت إلى الخادم وقد سالت دموعه على خده، وقال له: إن قلبى أحبه.

فقال له الخادم: دعنا من هذا الكلام ولا تدخل.

فعند ذلك التفت أبو عجيب للخادم وقال له: يا كبير، لأى شىء لا تجبر خاطرى وتدخل عندى؟ يا من كأنه قصطل(١) أسود وقلبه أبيض، يا من قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح.

فضحك الخادم وقال: أى شىء يقول الواصفون؟ فبالله قل وأوجز.

فأنشد فى الحال هذين البيتين:

لولا تأدّبـــه وحسن ثقاتِـــهِ
ما كان فى دار الملـوك محكمـــا

وعلى الحريم فيـــا له من خادم
من حسنه خدمته أمـلاك السَّمـا

فتعجب الخادم من هذا الكلام، وأخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ، فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان، وكان محلى بلوز وسكر، فأكلوا معا، فقال لهم حسن بدر الدين. آنستمونا، كلوا هنيئا مريئا.

ثم إن عجيبا قال لوالده: اقعد كلْ معنا، لعل الله يجمعنا بمن نريد.

فقال حسن بدر الدين: يا ولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الأحباب؟

فقال عجيب: نعم يا عم، حُرِقَ قلبى بفراق الأحباب، والحبيب الذى فارقنى هو والدى، وقد خرجت أنا وجَدّى نطوف البلاد بحثا عنه،

---

(١) القصطل والقسطل والكستنة هو أبو فروة.

فواحسرتاه على جمع شملى به .

وبكى بكاء شديدا ، وبكى والده لبكائه ، وتذكر فرقة الأحباب ، وبعده عن والده ووالدته ، فحن له الخادم ، وأكلوا جميعا إلى أن اكتفوا . ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين ، فأحس أن روحه فارقت جسده ، وراحت معهم ، فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة ؛ فأقفل الدكان وتبعهم ، وهو لا يعلم أنه ولده ، وأسرع فى مشيه حتى لحق بهم قبل أن يخرجوا من الباب الكبير ، فالتفت الطواشى وقال له : ما لك يا طباخ ؟

فقال حسن بدر الدين : لما نزلتم من عندى ، كأن روحى خرجت من جسمى ، ولى حاجة فى المدينة خارج الباب ، فأردت أن أرافقكم حتى أقضى حاجتى وأرجع .

فغضب الطواشى وقال لعجيب : إن هذه أكلة مشئومة ، وصارت علينا مكرمة ، وها هو ذا يتبعنا من موضع إلى موضع .

فالتفت عجيب ، فرأى الطباخ فاغتاظ ، واحمر وجهه ، وقال للخادم : دعه يمشى فى طريق المسلمين ، فإذا خرجنا إلى خيامنا ، وخرج معنا ، وعرفنا أنه يتبعنا ، نطرده .

فأطرق برأسه ومشى والخادم وراءه ؛ فتبعهما حسن بدر الدين إلى ميدان الحصباء وقد قربا من الخيام ، فالتفتا ورأياه خلفهما ؛ فغضب عجيب وخاف من الطواشى أن يخبر جده . فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا : « إنه دخل دكان الطباخ ، وأن الطباخ يتبعه » ؛ فالتفت حتى صارت عيناه فى عين أبيه ، وقد بقى جسدا بلا روح . ورأى عجيب عينه فتخيل كأنها عين خائن ، فازداد غضبا ، وأخذ حجرا وضرب به والده ،

فوقع الحجر على جبينه فشجه ؛ فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه ، وسال الدم على وجهه ؛ وسار عجيب هو والخادم إلى الخيام . وأما حسن بدر الدين فإنه لما أفاق مسح دمه ، وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ، ولام نفسه وقال : أنا ظلمت الصبى حيث أغلقت دكانى وتبعته ، حتى ظن أنى خائن .

ثم رجع إلى الدكان واشتغل ببيع طعامه ، وصار مشتاقا إلى والدته التى فى البصرة ، وبكى عليها وأنشد هذين البيتين :

لا تسأل الدهر إنصافا لمظلمة
فلست فيه ترى يا صاح إنصافا

خذْ ما تيسر وازو الهمّ ناحية
لا بدّ من كَدَر فيه وإن صافى

ثم إن حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه .

وأما الوزير عمه ، فإنه أقام فى دمشق ثلاثة أيام ، ثم رحل متوجها إلى حمص ، فدخلها ثم رحل عنها ، وصار يفتش فى طريقه أينما حلّ . وجدّ فى سيره إلى أن وصل إلى ماردين ، والموصل ، وديار بكر ؛ ولم يزل سائرا إلى مدينة البصرة فدخلها ، فلما استقر به المنزل ، دخل إلى سلطانها واجتمع به ، فاحترمه وأكرم منزله ، وسأله عن سبب مجيئه ، فأخبره بقصته ، وأن أخاه هو الوزير على نور الدين ؛ فترحم عليه السلطان وقال : أيها الصاحب ، إنه كان وزيرى ، وكنت أحبه كثيرا ، وقد مات من مدة خمسة عشر عاما ، وخلف ولدا وقد فقدناه ، ولم نطلع له على خبر ، غير أن أمه عندنا ، لأنها بنت وزيرى الكبير .

فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك أن أم ابن أخيه بعافية ، فرح

وقال : يا ملك ، إنى أريد أن أجتمع بها .

فأذن له فى الحال أن ينزل عندها فى دار أخيه ، فنزل شمس الدين ، ودخل عندها فى دار أخيه ، وجال بطرفه فى نواحيها ، وقبل أعتابها ، وتذكر أخاه نور الدين ، وكيف مات غريبا وهو مشتاق إليه ، فبكى وأنشد .

أمـــرّ على الديـــــار ديـــــار ليلى
أقبّـــــــــــل ذا الجدار وذا الجدارا
ومـا حب الديـــار شغفــن قلبــى
ولكـــن حب من سكـــن الديـــارا

ثم دخل من الباب إلى فسحة عظيمة ، فوجد بابا مقوصرا ، معقودا بالحجر الصوان ، مجزعا بأنواع الرخام من سائر الألوان ، فمشى فى نواحى الديار ونظرها ، وجال بطرفه فيها ، فوجد اسم أخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها ، فأتى إلى الاسم وقبله وبكى ، وأحرقه فراقه ، فأنشد هذه الأبيات :

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت
وأسأل البرق عنكــم كلمـــا لمعـــا
أبيت والشوق يطوينــى ويــنشرنى
فى راحتيــه ولا أشكـــو له وجعـــا
أحبابنـا إن يكـن طال المدى فلكـــم
قد قطّع القـلب منى بَعْـدكم قطعـــا
فلـــو منـــنتم على طرفى برؤيتكـــم
لكـــان أحسن شيء بيننـــا وقعـــا

لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل
إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم إنه صار يمشي إلى أن وصل إلى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصرى ، وكانت فى مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار ، فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام فى وسط القاعة ، وصارت تبكى عليه ليلا ونهارا ، ولا تنام إلا عند ذلك القبر . فلما وصل إلى مسكنها سمع حسها ، فوقف خلف الباب ، فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين :

بالله يا قبر هل زالت محاسنه ؟
وهل تغيَّر ذاك المنظر النَّضِر ؟
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك
فكيف يجمع فيك الغصن والقمر ؟

فبينما هى كذلك إذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها ، وسلم عليها ، وأعلمها أنه أخو زوجها ، ثم أخبرها بما جرى . وكشف لها عن القصة ، وأن ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ، ثم فقد عند الصباح ، وقال لها : إن ابنتى حملت من ولدك ، وولدت ولدا وهو معى ، وأنه ولد ولدك من ابنتى .

فلما سمعت خبر ولدها ، وأنه حى ، ورأت أخا زوجها . قامت إليه ، ووقعت على قدميه وقبلتهما ، وأنشدت هذين البيتين :



لله درّ مبشري بقدومهـــــــــم
فلقـــد أتى بأطـــايب المسمـــوع
لو كان ينقـــع بالخليـــع وهبتـــه
قلبـــا تقطـــع ساعـــة التوديـــع

ثم أن الوزير أرسل إلى عجيب ليحضره ، فلما حضر قامت له جدته وعانقته وبكت ؛ فقال لها شمس الدين : ما هذا وقت بكاء ، بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا إلى ديار مصر ، عسى الله أن يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخي ..

فقالت : سمعا وطاعة .

ثم قامت من وقتها ، وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها ،

وتجهزت فى الحال ، ثم طلع الوزير شمس الدين إلى سلطان البصرة وودعه ، فبعث معه هدايا وتحفا إلى سلطان مصر ، وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ، ولم يزل سائرا حتى وصل إلى مدينة دمشق ، فنزل على القانون وضرب الخيام ، وقال لمن معه : إننا سوف نقيم بدمشق جمعة ، إلى أن نشترى للسلطان هدايا وتحفا .

ثم قال عجيب للطواشي : يا غلام إنى اشتقت إلى الفرجة ، فقم بنا ننزل إلى سوق دمشق ، ونختبر أحوالها ، وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذى أكلنا طعامه ، وشججنا رأسه ، مع أنه كان قد أحسن إلينا ، ونحن أسأنا إليه .

فقال الطواشي : سمعا وطاعة .

ثم أن عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي ، وحركته القرابة إلى التوجه لوالده ، ودخلا مدينة دمشق ؛ وما زالا سائرين إلى أن وصلا إلى دكان الطباخ ، فوجداه واقفا فى الدكان ، وكان ذلك قبل العصر ، وقد وافق الأمر أنه طبخ حب رمان ؛ فلما قربا منه ونظره عجيب حنَّ إليه قلبه ، ونظر إلى أثر الضربة بالحجر فى جبينه ، فقال : السلام عليك يا هذا ؛ اعلم أن خاطرى عندك .

فلما نظر إليه حسن بدر الدين ، تعلقت أحشاؤه به ، وخفق فؤاده إليه ، وأطرق برأسه إلى الأرض ، وأراد أن يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ؛ ثم رفع رأسه إلى ولده خاضعا متذللا . وأنشد هذه الأبيات :

تمنيت من أهوى فلما رأيته
ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا

وأطـرقت إجـلالا له ومهابـة

وحاولت إخفاء الـذى بى فلـم يخفى

وكـنت معِـدًّا للعتـاب صحائفـا

فلمـا اجتمعنـا ما وجـدت ولا حرفـا

ثم قال لهما : اجبرا قلبى ، وكلا من طعامى ، فوالله ما نظرت إليك أيها الغلام إلا حن قلبى إليك ؛ وما كنت تبعتك إلا وأنا بغير عقلى .

فقال عجيب : والله إنك محب لنا ، ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها ، وأردت أن تهتكنا ؛ ونحن لا نأكل لك أكلا إلا بشرط أن تحلف أنك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا ، وإلا لا نعود إليك من وقتنا هذا ؛ فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة ، حتى يأخذ جدى هدايا للملك .

فقال بدر الدين ، لكما علىّ ذلك .

فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان ، فقدم لهما زبدية ممتلة حب رمان ؛ فقال عجيب : كل معنا لعل الله يفرج عنا .

ففرح حسن بدر الدين وأكل معهما ، وهو لا يغض طرفه عن النظر فى وجهه ، وقد تعلق به قلبه ، وصارت كل جوارحه معه ، فقال له عجيب : ألم تعلم أنى قلت لك : إنك عاشق ثقيل ، فحسبك لا تطل النظر إلىّ وإلى وجهى .

فلما سمع بدر الدين كلامه ، أنشد هذه الأبيات :

لك فى القلوب سريـرة لا تظهـر

مطويّـة وحديثهـا لا يُنشر

يا فاضح القمـر المنير بحسنـه

وبوجهـه افتضح الصباح المسفـر

لى فى سنـــاك أمـــارة لا تنـــقضى
ومعاهـــد أبـــدا تزيـــد وتـــكثر
فأدوب من حَرق ووجـهك جنتـــى
وأمـوت من ظمئـى وريقك كوثـــر

فصار حسن بدر الدين يلقم عجيب ساعة ، ويلقم الطواشى ساعة ، وصب على أيديهما الماء حتى غسلا ، وحل فوطة حرير من وسطه ، فمسح أيديهما ، ورش عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده ، وخرج من الدكان ، ثم عاد بقلتين فيهما شراب ممزوج بماء الورد الممسك ، وقدمهما بين أيديهما ، وقال لهما : تمما إحسانكما .

فأخذ عجيب وشرب ، وناول الخادم ، ولا زالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ؛ ثم انصرفا ، وأسرعا فى مشيهما حتى وصلا إلى خيامهما ، ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته ؛ وتذكرت حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ، ثم إنها أنشدت هذين البيتين :

لو لم أرجّ بأن الشمـــل يجتمـــعُ
ما كان لى فى حيـاتى بعدكم طمـع !
أقسمت ما فى فؤادى غير حبكـــم
والله ربى على الأسرار مطلـــــع !

ثم قالت لعجيب :

— يا ولدى أين كنت ؟

قال : فى مدينة دمشق .



فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان ، وكان قليل الحلاوة ، وقالت للخادم: اقعد مع سيدك .

فقال الخادم فى نفسه : والله ما لنا شهية للأكل .

ثم جلس الخادم ، وأما عجيب فإنه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما أكل وشرب ، فأخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان وأكلها ، فوجده قليل الحلاوة ، لأنه شبعان ، فتضجر وقال : أى شيء هذا الطعام الردىء؟

فقالت جدته : يا ولدى أتعيب طبيخى وأنا طبخته ؟ ولا أحد يحسن الطبيخ مثلى إلا والدك حسن بدر الدين .

فقال عجيب : والله يا سيدتى إن طبيخك هذا غير متقن ، نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب رمان ، ولكن رائحته ينفتح لها القلب ، وأما طعامه فإنه يشتهيه نفس المتخم ؛ وأما طعامك بالنسبة إليه فإنه لا يساوى كثيرا ولا قليلا .

فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ، ونظرت إلى الخادم .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ، ونظرت إلى الخادم ، وقالت له : ويلك ، هل أنت أفسدت ولدى ، لأنك دخلت به إلى دكاكين الطباخين ؟

فخاف الطواشي وأنكر وقال : ما دخلنا الدكان ، ولكن جُزنا جَوازا .

فقال عجيب : والله لقد دخلنا وأكلنا ، وهو أحسن من طعامك .

فقامت جدته وأخبرت أخا زوجها ، وأغرته بالخادم . فحضر الخادم قدام الوزير ، فقال له : لم دخلت بولدى دكان الطباخ ؟

فخاف الخادم وقال : ما دخلنا .

فقال عجيب : بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا ، وسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر .

فازداد غضب الوزير على الخادم ، وسأله فأنكر ، فقال الوزير : إن كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا .

فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ، ورمى اللقمة وقال : يا سيدى إنى شبعان من البارحة .

فعرف الوزير أنه أكل عند الطباخ ، فأمر الجوارى أن يطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع ، فاستغاث وقال : يا سيدى إنى شبعان من البارحة .

ثم منع عنه الضرب وقال له : انطق الحق .

فقال : أعلم أننا دخلنا دكان الطباخ ، وهو يطبخ حب الرمان، فغرف لنا منه ، ووالله ما أكلت عمرى مثله ، ولا رأيت أقبح من هذا الذى قدامنا .

فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت : لا بد أن تذهب إلى هذا الطباخ ، وتجىء لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده ، ونريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب .

فقال الخادم : نعم .

وفى الحال أعطته زبدية ونصف دينار ، فمضى الخادم حتى وصل إلى الدكان ، وقال للطباخ : نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا ، لأن هناك حب رمان طبخه أهل البيت ؛ فهات لنا بهذا النصف الدينار ، وأدِر بالك فى طهيه ، وأتقنه ، فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك .

فضحك حسن بدر الدين وقال : والله إن هذا لطعام لا يحسنه أحد إلا أنا ووالدتى ، وهى الآن فى بلاد بعيدة .

ثم إنه غرف فى الزبدية ، وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد ، فأخذها الخادم وأسرع بها ، حتى وصل إليهم ، فأخذتها والدة حسن وذاقتها ، ونظرت حسن طعمها ، فعرفت طباخها ، فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها . فبهت الوزير من ذلك ، ثم رشوا عليها ماء الورد ، وبعد ساعة أفاقت وقالت : إن كان ولدى فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا إلا هو ، وهو ولدى حسن بدر الدين لا شك فيه ولا محالة ، لأن هذا طعامه ، وما أحد يطبخه غيره إلا أنا ، لأنى علمته طبيخه .

فلما سمع الوزير كلامها ، فرح فرحا شديدا وقال : واشوقاه إلى رؤية ابن أخى ! أترى تجمع الأيام شملنا ؟ وما نطلب الاجتماع به إلا من الله تعالى .

ثم إن الوزير قام من وقته وساعته ، وصاح على الرجال الذين معه وقال : يمضى منكم عشرون رجلا إلى دكان الطباخ ويهدمونها . ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا إلى مكانى ، من غير إيذاء يحصل له .

فقالوا له : نعم .

ثم إن الوزير ركب من وقته وساعته إلى دار السعادة ، واجتمع بنائب دمشق ، وأطلعه على الكتب التى معه من السلطان ، فوضعها على رأسه بعد تقبيلها ، وقال : من هو غريمك؟

قال : رجُل طباخ .

ففى الحال أمر حجابه أن يذهبوا إلى دكانه ، فذهبوا فرأوها مهدومة ، وكلّ شىء فيها مكسورا ، لأنه لما توجه إلى دار السعادة ، فعلت جماعته ما أمرهم به ، وصاروا منتظرين مجىء الوزير من دار السعادة، وحسن بدر الدين يقول فى نفسه : يا ترى أى شىء رأوا فى حب الرمان ، حتى صار لى هذا الأمر ؟

فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق ، وقد أذن له فى أخذ غريمه وسفره به ، دخل الخيام وطلب الطباخ ، فأحضروه مكتفا بعمامته . فلما نظر حسن بدر الدين إلى عمه ، بكى بكاء شديدا وقال : يا مولاى ما ذنبى عندكم ؟

فقال له : هل أنت الذى طبخت حب الرمان ؟

قال :نعم ، فهل وجدتم فيه شيئا يوجب ضرب الرقبة ؟

فقال : هذا أقل جزائك .

فقال له : يا سيدى أما توقفنى على ذنبى ؟

فقال له الوزير : نعم فى هذه الساعة .

ثم إن الوزير صاح على الغلمان وقال : هاتوا الجمال ، وخذوا حسن بدر الدين معكم ، وأدخلوه فى صندوق ، وأقفلوا عليه .

ففعلوا كما أمرهم وساروا ، ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبل الليل ، فحطوا وأكلوا شيئا من الطعام ، وأخرجوا حسن بدر الدين ، فأطعموه وأعادوه إلى الصندوق ، ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى مكان ، فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق ، وقال له الوزير : هل أنت الذى طبخت حب الرمان ؟

قال : نعم يا سيدى .

فقيدوه وأعادوه إلى الصندوق ، وساروا إلى أن وصلوا إلى مصر ، وقد نزلوا فى الريدانية ؛ فأمر بإخراج حسن بدر الدين من الصندوق ، وأمر بإحضار نجار وقال : اصنع لهذا لعبة خشب .

فقال حسن بدر الدين : وما تصنع بها ؟

فقال : أصلبك وأسمرك فيها ، ثم أدور بك فى المدينة كلها .

فقال : على أى شىء تفعل فىّ ذلك ؟

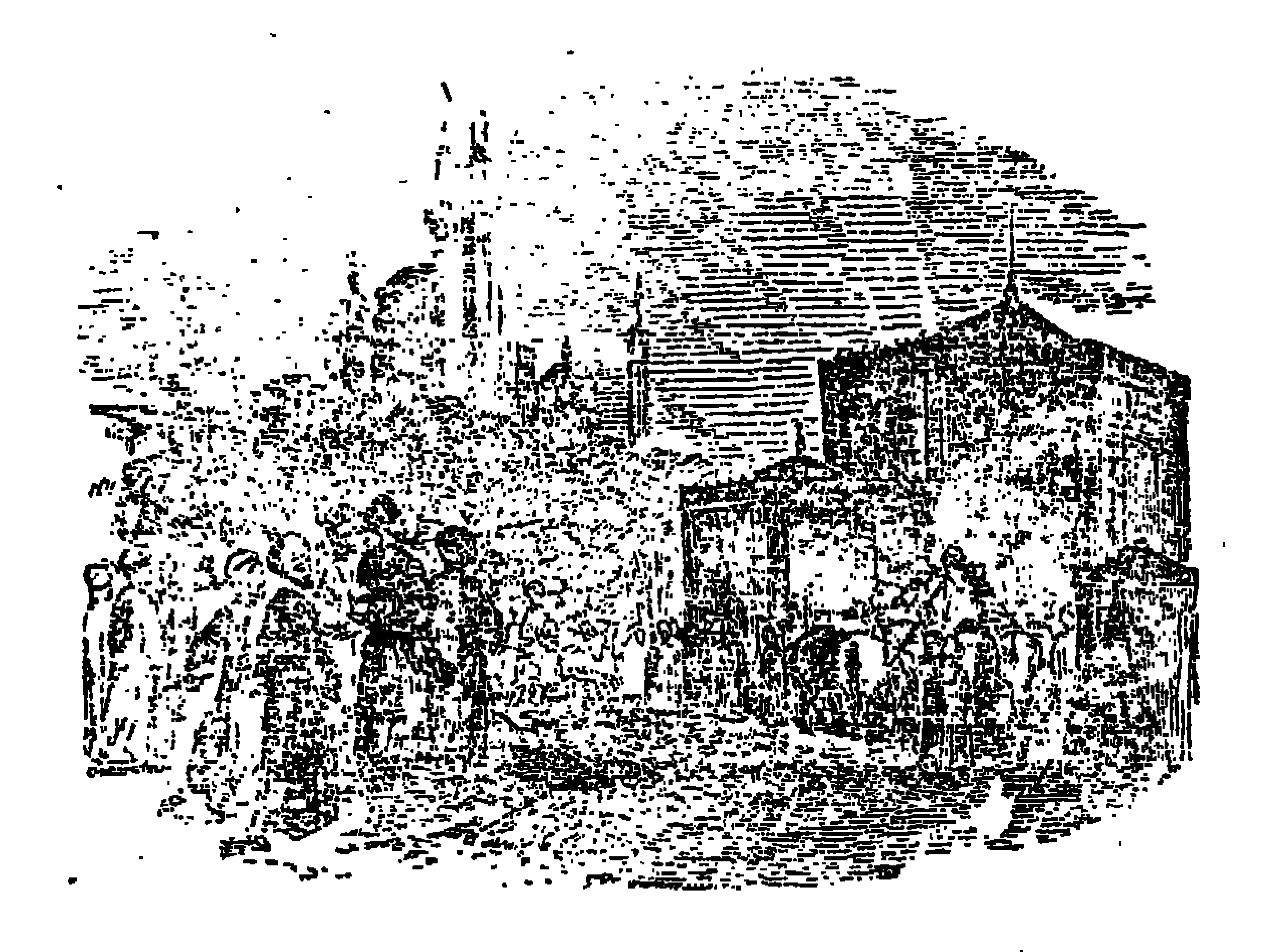
فقال الوزير : على عدم إتقان طبيخك حب الرمان . كيف طبخته وهو ناقص فلفلا ؟

فقال له : وهل لكونه ناقصا فلفلا تصنع معى هذا كله ؟ أما كفاك حبسى وكل يوم تطعموننى أكلة واحدة ؟

فقال له الوزير : من أجل كونه ناقصا ، ما جزاؤك إلا القتل .

فتعجب حسن بدر الدين ، وحزن ، وصار يتفكر فى نفسه ، فقال له الوزير : فى أى شىء تتفكر ؟

فقال له : فى العقول السخيفة التى مثل عقلك ، فإنه لو كان عندك



عقل ، ما كنت فعلت معى هذه الفعال لأجل نقص الفلفل .

فقال له الوزير : يجب علينا أن نؤدبك حتى لا تعود لمثله .

فقال حسن بدر الدين : إن الذى فعلته معى أقل شىء منه فيه أدبى .

فقال : لا بد من صلبك .

كل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر إليه ، ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل ، فأخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال : فى غد يكون صلبك .

ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام ، فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ، ودخل المدينة ، وسار إلى أن دخل بيته ، ثم قال لابنته ست الحسن : الحمد لله الذى جمع شملك بابن عمك ، قومى وافرشى البيت مثل فرشه ليلة

الجِلاء .

فأمرت الجوارى بذلك ، فقمن وأوقدن الشموع ، وقد أخرج الوزير الورقة التى كتب فيها أمتعة البيت ، ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شىء فى مكانه ، حتى أن الرائى إذا رأى ذلك لا يشك فى أنها ليلة الجلاء بعينها .

ثم إن الوزير أمر أن توضع عمامة حسن بدر الدين فى مكانها الذى وضعها فيه بيده ، وكذلك المنديل والكيس الذى تحت الطرحة . ثم أن الوزير أمر ابنته أن تهيىء نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع ، وقال لها :

إذا دخل عليك ابن عمك فقولى له : « قد أبطأت علىّ فى دخولك بيت الخلاء » . ودعيه يبيت عندك ، وتحدثى معه إلى النهار .

وكتب هذا التاريخ .

ثم إن الوزير أخرج حسن بدر الدين من الصندوق ، بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ما عليه من الثياب ، وصار بقميص النوم ، كل هذا وهو نائم لا يشعر بذلك .

ثم انتبه حسن بدر الدين من النوم ، فوجد نفسه فى دهليز نيِّر ، فقال فى نفسه : هل أنا فى أضغاث أحلام أو فى يقظة ؟

ثم قام بدر الدين فمشى قليلا إلى باب ثان ، ونظر فإذا هو فى البيت الذى جُلِيَتْ فيه العروسة ؛ ورأى المخدع والسرير ، ورأى عمامته وثيابه . فلما نظر ذلك بهت ، وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وقال فى نفسه : هل هذا فى المنام أو فى اليقظة ؟

وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب : والله إن هذا مكان العروسة الذى جُليت فيه علىّ ، وإنما كنت فى صندوق .

فبينما هو يخاطب نفسه ، إذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له : يا سيدى ، أما تدخل ؟ فإنك أبطأت علىّ فى بيت الخلاء .

فلما سمع كلامها ونظر إلى وجهها ، ضحك وقال : إن هذه أضغاث أحلام .

ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له ، وتحير فى أمره ، وأشكلت عليه قضيته ، ولما رأى عمامته ومنديله والكيس الذى فيه الألف الدينار قال : الله يعلم إنى فى أضغاث أحلام .



وصار من فرط التعجب متحيرا .

فعند ذلك قالت له ست الحسن : ما لى أراك متعجبا متحيرا ؟ ما كنت هكذا فى أول اليل .

فضحك وقال : كم عاما لى وأنا غائب عنك ؟

فقالت له : سلامتك ، اسم الله حواليك ، أنت إنما خرجت إلى بيت الخلاء لتقضى حاجة وترجع ، فأى شيء جرى فى عقلك ؟

فلما سمع بدر الدين ذلك ، ضحك وقال لها : صدقت ، ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة ، فحلمت أنى كنت طباخا فى دمشق ، وأقمت بها عدة سنين وكأنه جاءنى صغير من أولاد الأكابر ، ومعه خادم ، وحصل من أمره كذا وكذا .

ثم إن حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه ، فرأى أثر الضرب عليه ، فقال : والله يا سيدتى كأنه حق ، لأنه ضربنى على جبينى فشجه ، فكأنه فى اليقظة .

ثم قال : لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا ، فرأيت فى المنام كأنى سافرت إلى دمشق ، بلا طربوش ولا عمامة ولا ملابس ، واشتغلت طباخا .

ثم سكت ساعة وقال : والله كأنى رأيت أنى طبخت حب الرمان ، وفلفله قليل . والله ما كأنى إلا نمت فى بيت الراحة فرأيت هذا كله فى المنام .

فقالت له ست الحسن : بالله عليك أى شيء رأيته زيادة على ذاك ؟ فحكى لها جميع ما رآه ، ثم قال : والله لولا أنى انتبهت لكانوا صلبونى على لعبة خشب .

فقالت له : على أى شيء ؟

فقال : على قلة الفلفل فى حب الرمان . ورأيت كأنهم خربوا دكانى ، وكسروا مواعينى ، وحطونى فى صندوق ، وجاءوا بالنجار ليصنع لى لعبة من خشب لأنهم أرادوا صلبى عليها ، فالحمد لله الذى جعل ذلك كله فى

المنام، ولم يجعله فى اليقظة.

فضحكت ست الحسن، وضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره، ثم تذكر وقال: والله ما كأنه إلا فى اليقظة، فأنا ما عرفت أى شيء الخبر ولا حقيقة الحال.

ثم إنه نام وهو متحير فى أمره، فتارة يقول رأيته فى المنام، وتارة يقول رأيته فى اليقظة، ولم يزل كذلك إلى الصباح.

ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه، فنظر إليه حسن بدر الدين وقال: بالله عليك أما أنت الذى أمرت بتكتيفي وتخريب دكانى من أجل حب الرمان، لكونه قليل الفلفل؟

فعند ذلك قال الوزير: اعلم يا ولدى أنه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا؛ أنت ابن أخى، وما فعلت ذلك حتى تحققت أنك أنت الذى دخلت على بنتى تلك الليلة؛ وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت، وعرفت عمامتك ومنديلك وملابسك وذهبك، والورقتين: التى كتبتها بخطك، والتى كتبها والدك أخى؛ فإنى ما رأيتك قبل ذلك، وما كنت أعرفك، وأما أمك فإنى جئت بها من البصرة.

ثم رمى نفسه عليه وبكى. فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب، وعانق عمه وبكى من شدة الفرح، ثم قال له الوزير: يا ولدى، إن سبب ذلك كله هو ما جرى بينى وبين والدك.

وحكى له جميع ما جرى بينه وبين أخيه، وأخبره بسبب سفر والده إلى البصرة، ثم إن الوزير أرسل إلى عجيب، فلما رآه والده قال: هذا هو الذى ضربنى بالحجر.

فقال الوزير: هذا ولدك.

فعند ذلك ألقى بنفسه عليه ، وأنشد هذه الأبيات :

ولقد بكيت على تفرق شملنا زمنا وفاض الدمع من أجفانى
ونذرت إن جمع المهيمن شملنا ما عدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور علىّ حتى أنه من فرط ما قد سرنى أبكانى

فلما فرغ من شعره التفتت إليه والدته وألقت بنفسها عليه ، وأنشدت هذين البيتين :

الدهر أقسم لا يزال مكدرى حنثت يمينك يا زمان فكفّر
السعد وافى والحبيب مساعدى فانهض إلى داعى السرور وشمّر

ثم إن والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده ، وحكى لها جميع ما قاساه ، فشكروا الله على أن جمع شمل بعضهم ببعض .

ثم إن الوزير طلع إلى السلطان وأخبره بما جرى له ، فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك فى السجلات ، ليكون حكاية على مرّ الأوقات .

ثم إن الوزير أقام مع ابن أخيه ، وابنته وابنها ، وزوجة أخيه ، فى ألذ عيش ، إلى أن أتاهم هازم اللذات ، ومفرق الجماعات .

قال الوزير جعفر للخليفة هارون الرشيد : هذا يا أمير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين .

فقال الخليفة هارون الرشيد : والله إن هذا لشيء عجاب .

ووهب سريّة من عنده ، للشاب الذى كان عبدَ الوزير جعفر سببا فى قتله زوجته[1] ، ورتب له الخليفة ما يعيش به ، وصار ممن ينادمه .

ثم إن شهر زاد قالت للملك شهر يار : وما هذا بأعجب من :

حكاية الخياط والأحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع لهم.

قال الملك : وما حكايتهم ؟

(١) انظر ختام القصة الثالثة « الحمّال والبنات » .

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

١ ـ التاجر والعفريت
٢ ـ الصياد والعفريت
٣ ـ الحمال والبنات
٤ ـ نور الدين وشمس الدين
٥ ـ الخياط والأحدب
٦ ـ أنيس الجليس
٧ ـ غانم وقوت القلوب
٨ ـ العاشق والمعشوق
٩ ـ الطيور والحيوانات وابن آدم
١٠ ـ على بكار وشمس النهار
١١ ـ قمر الزمان
١٢ـ الأمجد والأسعد
١٣ـ نعم ونعمة

دار مصر للطباعة